أول مُخرج عربي يبدأ من العالمية:

البحث عن إشكالية قاد انور القوادري مؤخراً إلى مسلسل عن «عرب لندن»

دمشق ـ «القدس العربي»
ـ من أنور بدر:

أنور القوادري ابن المنتج والموزع المعروف تحسين القوادري أحد أهم رواد السينما السورية في بداياتها، وأحد مؤسسي لجنة صناعة السينما والتلفزيون، أي أنه نشأ في بيئة سينمائية ساهمت بتشكيل طموحه، وصناعة مستقبله، حيث ذهب سنة (1972) لدراسة السينما في لندن، وتخرّج سنة (1978) من الأكاديمية المركزية للعلوم السينمائية والدرامية هناك، وكان فيلم تخرجه بعنوان «بولينا» الذي نال إعجاب النقاد وحصد عليه جائزة مهرجان «شيكاغو» لطلاب السينما، مما شجعه على الاستمرار في بريطانيا.

أخرج القوادري وكتب عدداً من الأفلام العالمية والعربية، كما أخرج مسلسلا تلفزيونيا بعنوان «سحر الشرق» وهو يعود الآن إلى الدراما التلفزيونية في عمل مهم اسمه «عرب لندن».

سبق وتحدثنا عنه على هامش مهرجان دمشق السينمائي الأخير، وحين التقينا مُجدداً كان العدوان الإسرائيلي الغاشم على لبنان قد بدأ، اخذ ذلك منا مساحة لتبادل الأسى حيال الدمار الذي يُحيق بالشعب اللبناني، وحيال تقاعس الأنظمة العربية عن دعم المقاومة وصمود الشعب اللبناني، قبل أن نتمكن من العودة إلى الحوار:

أنور القوادري مع رياض نعسان آغا (القدس العربي)

■ أنور القوادري من الفنانين العرب الذين بدأوا من العالمية؟

■ **قد يكون للمنشأ في بيت سينمائي أثره، قد يكون لدراستي في لندن نصيب من ذلك، لكن النجاح هو المعيار الوحيد لإمكانية ولوج عالم السينما في الغرب، واعتقد أنّ الموضوعات التي اخترتها ساهمت إلى حدٍ كبير في هذا النجاح.**

ففيلمي الأول بعد التخرّج «غرفة الانتظار» وقد كتبت له السيناريو أيضاً، هو من الأفلام التي اعتز بها كثيراً، لأنه يعالج مشكلة التفرقة العنصرية بين البيض والملونين في الغرب، وهي مسألة حساسة وكانت في أوجها سنة (1980)، من خلال امرأة بيضاء تتهم رجلاً أسود باغتصابها، مع أنها هي التي تغتصبه حقيقة، وقد نال هذا الفيلم جائزة الأكاديمية البريطانية، وكان من بطولة «جورجينا هيلز» و«شارلي توموس»، مما شجعني على إخراج فيلم «كسارة البندق» وهو من إنتاج «نادر أتاسي» أحد أصدقاء والدي مع شركة «رانك» العالمية في بريطانيا، وهو يعالج فترة الحرب الباردة حيث شهدنا هروب بعض المبدعين من الاتحاد السوفياتي سابقاً وتحديداً إلى بريطانيا، وقد عرض في (100) دار عرض في بريطانيا وأمريكا وأوروبا، وكان من بطولة «جوان كولينز»، وهو من الأفلام الهامة في تاريخ السينما، مما ساهم بوضعي على خارطة السينما العالمية.

بعد ذلك قدمت فيلم «كلوديا» المأخوذ عن قصة «بعد العشاء» لمحمد خان، وهي قصة حقيقية حدثت في لبنان، وقد مثلت فيلماً في مصر من بطولة «أحمد زكي» و«سعاد حسني» و«حسين فهمي»، أنا اشتريت القصة وأخرجتها في لندن، مستبدلاً البطلة المصرية بأخرى إنكليزية من أصل طلياني، أي فيها ذلك الجزر المتوسطي حتى تتقبل فكرة استمرار العيش تحت ضغط زوجها البريطاني، لكنها في النهاية تسممه وتسمم نفسها كي تتخلص منه ومن عذاباتها بآنٍ معاً، وكان هذا الفيلم من بطولة «ديبورا» وهي ممثلة أمريكية معروفة، وهو من أهم أفلامي. فيما بعد عملت فيلماً مع القناة الرابعة الإنكليزية، كإنتاج مشترك بينها وبين «نيكولاي شيج»، وقد نال عنه الممثل «اريك نامي» جائزة قبل أن يشتغل في فيلم «المهمة» مع «روبرت دي نيرو».

وجاء فيلمي «سباق مع الزمن» كأول إنتاج مشترك مصري ـ بريطاني، وهو عن سرقة آثارنا، ومحاولة اكتشاف مومياء الإسكندر المقدوني، وكان من بطولة «جيك تاهي» الممثل الأمريكي المعروف، وبمشاركة عدد من الممثلين المصريين كجميل راتب وهالة صدقي ومحمد توفيق وسماح أنور، وأهميّة هذا الفيلم أنه لأول مرّة في سنة (1988) يقف الفنان المصري المبدع على قدم المساواة إلى جانب الفنان العالمي.

■ بذلك نكون قد وصلنا إلى فيلم «جمال عبد الناصر»؟

■ **فكرة هذا الفيلم راودتني منذ عام (1982) إثر الانتهاء من فيلم «كسارة البندق»، لكنّ الظروف لم تكن مواتية، حدث معي بالضبط كما حصل مع العقاد في فيلمه عن صلاح الدين، كثيرون يشجعون الفكرة لكن لا أحد يتقدم لدعم الإنتاج، وبعدما كتبت السيناريو لفيلم عالمي عن عبد الناصر وأعلنت عنه، بدأ التلفزيون المصري سنة (1994) العمل على فيلم «ناصر 56» وهو يتعرّض لمئة يوم فقط من تاريخ جمال عبد الناصر، هي أيام تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر الذي انتهى بالاندحار، وهي الفترة التي شهدت ذروته الجماهيرية، وبالتالي لا تحتمل أي خلاف حولها حتى من قبل أعدائه، لذلك لعبوا تلك اللعبة الرابحة والذكية، فكتب السيناريو «محفوظ عبد الرحمن»، ولعب «احمد زكي» دور البطولة، ويُقال أنّ «هدى عبد الناصر» أشرفت بشكل مباشر على السيناريو، وكان «محمد فاضل» و«فردوس عبد الحميد»، وكان «ممدوح الليثي» يشرف على قطاع الإنتاج في التلفزيون، وهو لم يكن ناصرياً، وهذا مؤشر على اتفاق الجميع حول هذه المرحلة.**

وبقيّ فيلمي معلقاً حتى عام (1996) حين أشار والدي أنه في ظل غياب التمويل المطلوب لفيلم عالمي عن «عبد الناصر»، لماذا لا نقدم فيلماً عربياً، مما دفعني للبحث عن طريقة لصنع فيلم عربي مع المحافظة على الجانب العالمي من خلال شخصيات مهمة كأنطوني إيدن وزوجته، كذلك حافظت على شخصيات عن الجانب الإسرائيلي ضمن سياق الأحداث، وأتيت إلى المعارك فأخذتها من الأرشيف ووظفتها بطريقة مبتكرة ضمن إنتاج جيد بدل أن نقوم بتصويرها ضمن ميزانيات ضخمة، وقد نجحنا فعلا بتخفيض الميزانية من (40) مليون دولار إلى مليون دولار فقط، وهو رقم لا يعني شيئاً في الإنتاجات الغربية، لكنه رقم مهم بالنسبة للإنتاج العربي، فوقف معي المنتج السوري «بشير غيّة»، وحققنا الفيلم بظروف صعبة.

المشكلة بدأت مع «هدى عبد الناصر» لأنّ العمل لم يكن بإشرافها، ولم نستشرها في المصادر، إذ لا تؤيد مثلاً أن أعتمد على وثائق من «عبد اللطيف بغدادي» وكان صديق «عبد الناصر» ثم اختلف معه، لكنه بقيّ يحترمه، كذلك «خالد محيّ الدين»، وحتى في كتابات «هيكل» نجد نقداً لعلاقة «عبد الناصر» مع «عبد الحكيم عامر» مثلاً، وهو الرجل الثاني في تلك الفترة والذي مثل البطل التراجيدي أو الثغرة التي تسللت منها الهزيمة إلى مسيرة «عبد الناصر» كلها. وأنا أردت تصوير «عبد الناصر» الإنسان، ولم أكتف بعبد الناصر الزعيم. وهنا كان خلافي مع «هدى عبد الناصر» التي شنت حملة كبيرة وغير مبررة على مستوى مصر والعالم العربي، وجرّت إلى الخلاف عدوتها «برلنتي عبد الحميد» والتي اتهمت «عبد الناصر» بقتل زوجها «عبد الحكيم عامر»، مع أنّ هذا غير مثبت.

إثر دخول «برلنتي عبد الحميد» وأولاد عامر على الخط، انسحبت «هدى عبد الناصر» من المعركة، وهذا أحدث انشقاقاً في الأوساط السياسية، فوقف معي «ضياء الدين داوود» و«عبد الله إمام» من الحزب الناصري وكذلك ابنه «إيهاب إمام»، كذلك وقف معي «محمد فائق» وزير الإعلام السابق، وشدّ على يدي «عبد اللطيف بغدادي» وآخرون، فيما تردد آخرون بإعلان تأييدهم للفيلم لأنّ «هدى عبد الناصر» لم تباركه، واستمرت دعوى «برلنتي عبد الحميد» في مصر وأخرى في بريطانيا ضد الفيلم، وهذا أثرّ في توزيعه كثيراً.

بالنسبة لي أنا أعتبر الفيلم قصيدة حب بعبد الناصر الذي كان ينتقد نفسه، حتى أنه قدّم استقالته إثر هزيمة الـ67 وهذه من نقاط عظمة هذا الرجل والتي لا يريد الآخرون الاعتراف بها، وهذا ما رغبت أنا بتقديمه في هذا العمل، إضافة للجانب الإنساني، وقد عرض الفيلم في فرنسا في الهواء الطلق وحضره المخرج العالمي «غوستا غافراس» الذي حيّاني على هذا العمل قائلاً: «أنا لم أكن اعرف عبد الناصر، لكنك قدمت لي عبد الناصر الحقيقي».

ولا أعتقد أنّ الفن الحقيقي الذي يغازل مشاعر الجميع، بل الفن العظيم هو الذي يثير الأسئلة ويدفع بالمشاهدين إلى الحوار والاختلاف، وفيلم «جمال عبد الناصر» لم يكن من أجل الترفيه والتسلية، بل كان فيلماً يهدف لفتح الملفات وإثارة الأسئلة واستفزاز المشاهد على إعادة التفكير في الكثير من القضايا التي مرّت بحياته وحياة أمته. والفيلم موجود الآن في المكتبات وعند أشخاص مهمين وفي التلفزيونات، وهو مازال يُعرض الآن وسوف يأخذ قيمته في المستقبل أكثر مما جرى الاهتمام به أثناء عرضه كما قال لي المخرج الكبير «علي أبو شادي» وهو رئيس الرقابة في مصر تلك الفترة، وممن وقفوا إلى جانبي، قال لي: «يا أنور: هذا الفيلم مثل زجاجة النبيذ المعتق، كل ما عتق.. كل ما زادت قيمته».

■ كثير من مخرجي السينما يتعالون على التلفزيون، كيف تفسرّ النقلة التي قام بها أنور القوادري باتجاه الدراما التلفزيونية؟

■ **أول مسلسل أخرجته «سحر الشرق» في سورية عن قصة حب حقيقية في القرن التاسع عشر، بين سيدة أرستقراطية إنكليزية تركت الغرب وأحبت شيخ عشيرة في البادية السورية، أعجبت بقيمه وحضارته، وغادرت بريطانيا لتعيش معه في الصحراء، كما أقامت لها بيتاً في دمشق.**

وأنا قصدت بقصة الحب المستحيلة هذه أنّ الشرق والغرب يمكن أن يلتقيا على أسس جديدة وجيدة، لقاء الحضارات عن طريق الحب، وهذه رسالة موجهة. قمت بداية بكتابة السيناريو أنا و«رنا قباني» كفيلم باللغة الإنكليزية، وكان مرشحاً لبطولته «أنطوني باندريراس» بدور الشيخ مجول، و«إيما توشفا» بدور الليدي الإنكليزية، لكن غياب التمويل، وتعثر وجود أي تسهيلات مادية عام (1995) دفعني للعمل مجدداً بنصيحة والدي، وقد ساعدني المرحوم «عمار الكسان» وزوجته «ريم حنا» في إعادة الشغل عليه كمسلسل، فكتب «عمار الكسان» الخط البدوي فيما كتبت «ريم حنا» الخط الشامي، وكان هذا اللقاء بينهما جميلاً، خاصة وأنه العمل الوحيد الذي حمل توقيع «عمار الكسان» ككاتب سيناريو، كتبه بشفافية وعشق.

بالنسبة لهذا العمل شكلت الدراما التلفزيونية خياراً في مواجهة غياب التمويل السينمائي، لكنه نجح كمسلسل مصنوع بعين سينمائية إن صح التعبير.

أما عملي القادم «عرب لندن» فأنا كتبته بالأساس كمسلسل تلفزيوني، إذ لا يجب أن ننسى بأنّ جمهورنا العربي بالأساس هو جمهور تلفزيوني، وعلينا أن نتواصل معه، فالمسلسل التلفزيوني إذا نفذ بحرفية عالية سيشاهده الملايين من الناس، وسيتابعونه على مدار (30) يوما خلال شهر رمضان، بينما أي فيلم ناجح قد لا يحظى بعشر هذا الجمهور.

■ دعنا نتحدث الآن عن مشروعك القادم «عرب لندن»؟

■ **أنا موجود في بريطانيا منذ (33) إلى (34) سنة، عشت خلالها معاناة كبيرة، ورأيت أنّ لندن تكاد تجمع جامعة الدول العربية في بضعة أحياء لا يتجاوز قطرها مجتمعة (4) كم. وكان في نيتي كسينمائي أن أرصد هذه الوضعية سينمائياً، إلا أنني وجدت أنّ الخامة الضخمة المخزنة في ذاكرتي تسمح لي بإنجاز مساحة واسعة لن يستطيع فيلم سينمائي أن يعبر عنها خلال ساعة ونصف أو ساعتين.**

هذا العمل اسمه «عرب لندن» وهو موجه للجمهور العربي، وسوف يكون له امتداد عالمي من خلال التصوير في لندن، وبمشاركة ممثلين عالميين، مع التأكيد أنّ كل الشخصيات في هذا المسلسل هي شخصيات مركبة ومن خيالي، قد تتقاطع مع شخصيات من الواقع، لكنها ليست واقعية بالمطلق. مع أنّ ذلك سيحفز خيال المشاهد لمقاربة كل شخصية، وأنا أحب أن يشاركني المشاهد في هذه اللعبة، أريده أن يتفاعل معي أثناء المشاهدة وان لا يبقى حيادياً.

أهمية المشروع أن يناقش قضايا الأمة العربية من خارجها، من لندن. لأنّ من يعيش بالخارج إذا جاء إلى هنا يستطيع أن يرى أكثر ممن هم في هذا الداخل، فهؤلاء العرب الذين ذهبوا إلى لندن، جاءوا معهم بمشاكلهم وهمومهم وبيئتهم، وحصل هذا الصدام أو التوافق، من تزوج ومن نجح، ومن أحبط ومن توفق، ومن أصبح بدون مسكن والذين يعيشون في الشوارع، ومن أصبح ملياردياً وكيف؟ والذين نجحوا والذين فشلوا.. عالم كبير جداً، وعلى خلفيته تجد لدى دخول صدام حسين إلى الكويت، تحرير الكويت، مؤتمر مدريد، اتفاقية أوسلو، غزو العراق، الآن... وما نراه في لبنان حالياً. بحيث لا تستطيع أن تفصل هذه الخلفية السياسية عن الخط الدرامي للحدث، لأنها وظفّت مع الدراما، وتلك الشخصيات كانت تتفاعل مع الحدث العام وباستمرار. تختلف أو تقبل معي لا يهم هذا رأيك، لكنني أنا اصنع رؤيتي، وهذا في النهاية موجود، حتى التطرّق لكامب ديفيد موجود كخلفية وكذلك ياسر عرفات... كل هذا موجود لكنه ليس أداة العمل، هذا ما صنعه «أنور عكاشة» في «ليالي الحلمية» وأثبت نجاحه حتى في الأفلام الغربية.

■ ما هو الخط الدرامي الأساسي في هذا المسلسل؟

■ **أنا لا أريد حرق العمل والدخول في التفاصيل، لكنني أستطيع الحديث عن خط مصري أساسي يمثله الحاج «بيومي» وقد رشح «نور الشريف» لهذا الدور، الخط الآخر السوري يمثله «سامي» والمرشح له «عابد فهد»، مع شخصيات أخرى عراقية ولبنانية ومغاربية وفلسطينية وحتى الخط الخليجي موجود في هذا العمل، لكنه خط يمثل زوار لندن وليسوا المقيمين فيها، هؤلاء المقيمين الذين قدموا إلى لندن واستقرّوا بها. كافحوا وأخذوا الجنسية واستمروا في الحياة حتى الجيل الثاني أو الثالث، حيث يظهر صراع الأجيال، وإشكاليات الزواج المختلط أو الأصلي، ومشكلة الهوية.**

هؤلاء الأشخاص يلتقون في قهوة «النيل» وهو مكان متخيّل، يلتقي فيه «سامي» والحاج «بيومي» يحلمون بتحقيق الوحدة العربية لتي لم تتحقق في الواقع، يلتقون في هذا المقهى ليغنوا معاً «وحدة ما يغلبها غلاب....». كذلك جاء هؤلاء العرب معهم بأغاني وموسيقى تعيدنا إلى تلك الرومانسية الجميلة التي نفتقدها الآن، فنسمع «عبد الوهاب» و«أم كلثوم» و«فيروز»، كما سيرافقنا «شارل أزنافور» وغيره من ذلك التاريخ الجميل.

مجموعة من الخطوط الدرامية التي تتحرك على خلفية أحداث هامة أثرت في المنطقة العربية وفي تاريخ العالم، لكننا نطل عليها من لندن.

وأحب أن أضيف في النهاية أنني مسؤول عن هذا العمل كنص وإخراج. ويستطيع أي ناقد أن يحاسبني عليه كمسؤولية كاملة، وأعتقد أنّ تعاون شركة «إيبلا» سيكون كاملاً لخدمة هذا العمل.

تداعيات

إنهم يقتلون الشمس

عبدالحق ميفراني*

[شكرا للأندال الجدد، ولحاملي المحفظة..]

■ الكم الهائل من الصور الذي تقدمه هذه الأيام القنوات الفضائية، خلق نوعا من الانتكاسة لهذه الذات المشروخة، والتي لا تجد لنفسها هامشا ولو صغيرا لإعادة ترتيب أفكارها، فالصورة في أثم عنفها كما الذات في منتهى النكسة والفشل، الذات المفكرة والتي تخلت عن وظيفتها المعتادة أمام قدرة احتواء عجيبة من بين أهم وسائطها توليد الصمت. المشهد روتيني شهداء بالجملة، لغة الموت هي الصور المتحركة وبجميع ألوان الطيف ..

الموت هو المولد الحراري الوحيد

ونحن نتقن الفرجة ، إذ نستكين لمشهد الدم، حتى الأطفال أمسوا الشهداء الجدد..

هم الشاهد المكلل للصمت الرهيب.

في غزة، في بيروت، تترصد الصور أدق التفاصيل تحصد منتهى الاعتراف أن البقاء لجينيريك إعادة ترتيب أنفاس الموت، كي تستطيع الذات المتشظية الركون الى بلاغة الاحتواء.

ولأن للمشهد بقية، تتوالى قصص الشهداء، ويتوالى القصف، وتحصد الآلة الرهيبة الحياة، وغير بعيد عن الإدانة وعن الإنابة في الإدانة..يتوالى الموت، شهداء بالجملة والأطفال في مقدمة الصورة ..والنمنمات تتوالى كي تكتمل لحظة تأثيث المشهد المأساوي بكامله ..

وسط هذا الكم من مشهد تراجيدي، يواصل الفاعل المفكر لعبة التماهي مع الصمت، وكأنه اللغة الوحيدة لقراءة المشهد، المشهد الكريه الرائحة..ويتساءل لما قوة الصورة أبلغ من وظيفته التداولية؟؟

وعلى امتداد الجغرافية، من الخليج الى المحيط، نواصل تسييج النكسة بمزيد من التصفيق..

نصفق دون كلل،

حتى لا تصاب النكسة بالصدأ..

تعيد الصورة ملأ خزان الذاكرة، في وقت انشغل البعض بحرويهم الصغيرة، منهم من حمل محفظة سيده، ومنهم من انشغل بتلميع نعال القيم الجديدة المشتركة، دون شعارات ودون رغبة في رؤية الصورة المأساوية في أتم عريها ..ليمضي الشهداء الى سرير الدهشة، جميعهم هنا يرقبون مشهدا أكثر حدة ، فالفرجة الدموية حرب مفتوحة على السواد ، وبالمجان..

ليمضي الأطفال الى الصمت، سنشيعهم على ركاب النسيان، وسنرقص مبتهجين..أنا الأوائل من دعاة الدسائس، نشيد سدا آخر منيعا، على خزاننا الصوتي الكلامي الشفاهي..وعلى الكثير من البلاغة المكتنزة في وجوه دسائسنا الجديدة..لكي تكتمل الصورة، إذ لا شيء تغير في الداخل / ولا في الخارج...اللهم منتديات الدردشة حيث نجمل لصورتنا المتبقية قليلا من البهاء، بكثير من توابل النقد، وعجين من صدف المجاملات..

شكرا لصمتنا الباذخ، شكرا للذين أصروا أن يعيدوا عرينا الى الواجهة..في بيروت في غزة، في الجنوب والشمال، في الوسط وعلى أعلى مئذنة، وكنيسة، في قنا –مرة ثانية– عادوا ..

عادوا من شرق النخاسة كي يطلبوا شرقا آخر ..

لنصرخ فيه صمتنا

إذاك، نضع جينيريك للصورة، فرحين بأبطالنا الجدد، بما فيهم الطبال، وندماؤه..ومفكر اللغة الحاذق الدائم..

فقط نستسمح هذا العجز كي أقول بملء الصدى:

« من قلبي سلام لبيروت»..

---

* كاتب من المغرب

** عنوان قصيدة بديواني كولاج الشاعر، كتبت أساسا على أطفال ـ شهداء، وحينها قلت لا أرض لهؤلاء..

فضاءات ثقافية

النادي السينمائي اليوناني يسحب مشاركته من مهرجان حيفا السينمائي

اثينا ـ «القدس العربي» ـ من محمود خزام:

اعلن المركز السينمائي اليوناني في بيان له عن قراره بسحب الافلام اليونانية التي كان من المقرر ان يشارك بها في مهرجان حيفا السينمائي والذي من المقرر عقده في تشرين الاول (اكتوبر) القادم، وذلك بناء على الاوضاع الحالية في منطقة الشرق الاوسط واندلاع اعمال العنف من كافة الاطراف خاصة وان عملاً ثقافياً من هذا النوع فقد معناه.. على حد قول المركز.

وزير الثقافة يدعم فكرة مشاركة الفنانين الأردنيين في المهرجانات المحلية
القاسم يشارك في مهرجان قرطاج في تونس
فرقة «شهريار» تشارك في نفس المهرجان

الرامة ـ من ميسون أسدي:

التقى الشاعر الفلسطيني سميح القاسم والمنتج علي عباسي، مع وزير الثقافة الأردني الدكتور عادل الطويسي، لبحث مشاركة فنانينا العرب الفلسطينيين داخل الخط الأخضر في جميع فعاليات الثقافة والمهرجانات التابعة للوزارة الثقافية الأردنية، وكان اللقاء مثمرا، حيث أبدى د.الطويسي استعدادا كبيرا لدعم هذه الفكرة.

من ناحية أخرى، علمنا ان مهرجان قرطاج الدولي الحالي سيقيم أمسية شعرية خاصة بالشاعر سميح القاسم يوم 2006/8/5.

وعلم أيضا، ان المنتج علي عباسي، غادر البلاد بمرافقة فرقة «شهريار» الموسيقية، متوجها إلى تونس للمشاركة بمهرجان قرطاج الدولي.

وستقدم الفرقة في 2006/8/6، أغاني عربية كلاسيكية وملتزمة وبعض الأغاني للشاعر سميح القاسم ومارسيل خليفة، حيث سيشارك في الغناء الياس عطا لله وصابرين موسى، مع العازفين: يوسف مخول، سامي ريناوي، جميل منصور وصالح هيبى.

مَطَـرٌ مَـوْبـوءٌ

عبد الحكيم أبو جاموس*

(1)

سَيِّدَتي،
آنستي،
ثمَّةَ متَّسعٌ للعشق وللحبِّ،
فَألْقي بَعْضَ هُمومِ تَجْتاحُكِ،
تُخفي ألقاً يسكنُ ساحرتينِ برأسكِ،
ثمَّةَ إشراقٌ لا مَحدودٌ في عَيْنَيكِ
وَمدادٌ من أمَلٍ في القلبِ
مَنْ قالَ بأنَّ الفُلَّ له تاريخُ صَلاحيَّةٍ؟!
أو قالَ بأنَّ عَبيرَ الوَرد يَفوحُ بغيرِ أوانٍ
أو يَتَضوَّعُ مسكاً وأَريجاً قبلَ نُضوجهِ؟!
هل يَعبقُ زَهرُ الرُّمان
إلاّ حينَ تَمُرّينَ عَلَيْهِ؟!
هل يشرقُ صبحٌ دونَ استئذانكِ؟!
أو حتى أخذ الإيماءةِ من رَمْشَيْكِ؟!
كيفَ؟! وأنتِ المشهدُ والصورةُ؟!
أنتِ تفاصيلُ الرَّبط وخَبَايا الحلِّ؟!
يا سَيِّدَةَ الصُّورةِ والسِّيرةْ

(2)

صحيحٌ أنَّ الفكرةَ قدْ ضاقَتْ
وأنَّ الفَرْحَةَ قدْ غابتْ
لكنَّ هديرَ الموجِ تَخَطّى ضيقَ السّاحل
ورفيفَ الأشجارِ غدا ساحات للعُشّاقِ
ومَلعبَ زَقزقةٍ لعصافيرِ الفَجرْ
لا وَقْتَ لَدَينا كَيْ نَرفعَ رَايات بيضاً
فلْنَضربْ بعَصانا الأوهام
صحيحٌ أنَّ الطقسَ سوادٌ
والبحرَ سوادٌ
لكنَّ بهاءَكِ يرتقُ ثوباً خَرْدَقه البارودُ
وقصفُ اللَّيلْ
وضياءكِ يضمدُ جُرحاً
حاولَ أن يَخْفيه النَّشْمِيُّ
العائدُ من كَرْمِ أبي سالمْ
حَصَدَ المَحصولَ المَزروعَ رَبيعاً
في عزِّ الصَّيفْ
لم يَخشَ الأمطارَ المَخبوءةَ والموبوءةَ
واستمسكَ بالريح
وطارَ إلى المَجْهولِ المَعْلومِ
فَصارَ قَذيفةْ!

(3)

تَقْتُلُني نُقَطٌ حائرةٌ في نارِ فراغِ تائه
مفزعٌ هذا الذهول!
مرعبٌ هذا التساؤل!
يا غاليةً لمْ نَملكْ أمرَ حمايَتها!
لمْ نَحضُرْ حَفْلَ تَخرّجَها!
لمْ نَمسَحْ دَمْعَتَها!
لمْ نُحضرْ في العيدِ هَديَّتَها!
وبَقينا مَشدوهينَ نُغَنّي أمجادَ الثَّورة،
نَتَّكِئُ على إرثٍ من ماضٍ راحَ..
ولا مُستقبل،
فيما تقتلُها الوحدةُ والأحلامُ الملغومةْ!
وتَباريحُ قَتامٍ ألْقَتها في غَيْبٍ شاسعْ
فانْتَفَضَتْ تَبْكي، تَصرخُ مَذْعُورةْ!

---

* شاعر من فلسطين
keem66@hotmail.com